العرب
السبت 2020/05/23
السنة 42 العدد 11711

استعباد داعشي موثق للإيزيديين في العراق

أدلة تكشف كيف حوّل التنظيم سنجار إلى سوق للنخاسة والرق

تعرضت الأقلية الإيزيدية في العراق لأقسى اضطهاد على أيدي عناصر داعش الذين قتلوا المئات من رجالها وأطفالها، وخطفوا نساءها واتخذوهن سبايا واستعبدوهن جنسيا، وهو ما أكدته تحقيقات لجنة العدالة والمساءلة الدولية عبر أدلة موثقة، حيث حوّل التنظيم مدينة سنجار لسوق للنخاسة وتجارة الرق، ليزيد بذلك التقرير من إحراج المجتمع الدولي الذي عجر عن وقف جرائم التنظيم بحق العراقيين.

ذكرى مريرة

الموصل (العراق) – تقوم مجموعة من المحققين في لجنة العدالة والمساءلة الدولية بجمع الأدلة لمقاضاة عناصر داعش بتهم ارتكابهم جرائم ضد الإنسانية وجرائم الحرب والإبادة الجماعية.

وتوصل المحققون في، الآونة الأخيرة، إلى أدلة تكشف استعباد داعش للطائفة الإيزيدية بالعراق وتحويل النساء الإيزيديات إلى "سبايا" وأسواق المدن العراقية إلى "سوق لتجارة الرق والعبيد".

ويقول المحققون إنه من خلال وثائق التنظيم والمقابلات مع الناجين والمطلعين، حددوا 49 شخصية من عناصر داعش قاموا بتأسيس وإدارة تجارة الرقيق، كما تم تحديد ما يقرب من 170 من مالكي العبيد. وأوضح بيل وايلي، المدير التنفيذي مؤسس لجنة العدالة والمساءلة الدولية، أن المقاتلين لم يقرروا فقط استعباد واغتصاب النساء الإيزيديات، بل كانت هناك خطة تصفية يتم تنفيذها بعناية من قبل قيادة التنظيم. وأضاف لقد سخروا كل أدوات ما تسمى دولتهم للقيام بهذه الممارسات. وفي سبيل قيامهم بذلك، شرعوا في القضاء على الطائفة الإيزيدية من خلال ضمان عدم ولادة المزيد من أطفال الإيزيديين".

وخلال مقابلات مع مستعبدين سابقين ومنقذين ومسلحين مسجونين، تبين أن "حكومة" التنظيم قامت بتأسيس نظام الاستعباد، وفرضته الأجهزة الأمنية، وأشرفت عليه محاكمها. ثم تحوّل هذا الأمر في ما بعد إلى نوع من المنافسة بين مقاتلي التنظيم، لما تدره عليهم تجارة الرق من مكاسب مالية هائلة.

قصص استعباد

سيطر تنظيم الدولة الإسلامية على ثلث العراق في أغسطس 2014 لاسيما على جبال سنجار، معقل الإيزيديين التاريخي. وارتكب التنظيم بحق هؤلاء جرائم يمكن أن تصل إلى مستوى إبادة بحسب الأمم المتحدة إضافة إلى استهدافه معارضيه وتدمير المواقع الثقافية والدينية وتدريب الأطفال على الجهاد.

ولم يكتف التنظيم بذلك بل قام باستعباد الإيزيديات، واستنادا إلى تحقيق "سيجا" فإن قيادات داعش كانت متورطة بشكل مباشر في تنظيم شبكة رقيق أصبحت مركزية في بنية وهوية التنظيم. ثم شاركت مؤسسات داعش الحاكمة آنذاك في تطبيق هذا النظام، بدءاً من "مجلس وزراء" داعش الذي بنى نظام الرق، والأجهزة الأمنية التي فرضته، والبيروقراطيين والمحاكم الإسلامية اللذان أشرفا عليه، والأذرع الدعائية التي بررت تلك الممارسات.

وحتى مع انهيار الخلافة، جعل المسلحون إبقاء قبضتهم على الرقيق أولوية. وعندما انتشرت أسواق الرقيق بعيداً عن أعين القيادة، تظهر الوثائق الداخلية أن مسؤولي تنظيم داعش كافحوا لفرض السيطرة من جديد على هذه الشبكة من خلال إصدار مجموعة من المراسيم التي تم تجاهلها من قبل عناصر التنظيم. ويُعتقد أن الحاج عبدالله، وهو تركماني من تلعفر، وهي منطقة بالقرب من سنجار، هو أعلى مسؤول قضائي لداعش في المنطقة، ولذلك فقد تدخل للعب دور رئيسي في عملية الاستعباد.

وأصبح في ما بعد نائباً لزعيم التنظيم أبوبكر البغدادي. ويعتقد كثيرون أنه خليفة البغدادي الراحل، الذي تم تعريفه بالاسم المستعار أبوإبراهيم الهاشمي القرشي، والذي رصدت الولايات المتحدة مكافأة قدرها 5 ملايين دولار مقابل رأسه.

وحسب التحقيقات، كان واضحاً أنه المسؤول عندما دخل إلى قاعة الزفاف التي تحولت إلى سجن للمستعبدات بمدينة الموصل العراقية، حيث تجلس العشرات من النساء والفتيات الإيزيديات على الأرض، بعد أن اختطفهن مقاتلو التنظيم.

وتروي امرأة إيزيدية، كانت في الـ14 من عمرها عندما جرت تلك الواقعة عام 2014، لوكالة أسوشيتد برس أن الرجل كان يضربهن عندما يبدين أدنى مقاومة. وذات مرة، قام بجر فتاة على الأرض بعدما اختارها لنفسه. وتقول الفتاة التي شاهدت قسوة الحاج عبدالله في قاعة الزفاف "لقد عشت معهم لمدة خمس سنوات. ضربوني وباعوني وفعلوا كل شيء بي. وحين بلغت من العمر 19 تعرضت للاغتصاب من قبل ما يقرب من 12 من قيادات داعش"، بمن فيهم البغدادي، الذي احتجزها عنده لشهور قبل أن يقدمها هدية لأحد مساعديه. وتم إنقاذ الفتاة في عملية تم تنفيذها بقيادة واشنطن في مايو 2019.

وأدار التنظيم أسواق رقيق مركزية في الموصل والرقة ومدن أخرى. ففي سوق مدينة تدمر السورية، سارت سيدات في ممر ووقعن عرضهن كـ"سبايا " فيما قام آخرون بتوزيع النساء عن طريق نظام "اليانصيب". وسجلت إدارة الجنود، أو "ديوان الجند"، بالتنظيم المقاتلين الذين كانوا يملكون رقيقاً.

ولبعض الوقت، كان التنظيم يدفع لكل مقاتل راتبا يبلغ نحو 50 دولارا على كل عبد، و35 دولارا على كل طفل. ومع ذلك، تبين أن إدارة هذا النظام القوي أمر صعب. ثم لاقت إدارة هذا النظام صعوبة وتعقيدا بشكل أكبر مما خططت له القيادة، وعمّت الفوضى كنتيجة لذلك.

وأعيد بيع الإماء، اللواتي كنّ من المفترض أن يكنّ مكافأة للمقاتلين، لتحقيق مكاسب شخصية، وقام بعض عناصر داعش بجمع عشرات الآلاف من الدولارات في صورة فدية لتحرير الأسرى وإرسالهن إلى عائلاتهن. وأدى العنف وإساءة المعاملة من قبل المالكين إلى تزايد التقارير عن حالات الانتحار والهروب بين الأسرى.

ودفع ذلك إلى مجموعة من اللوائح المتعلقة بالملكية والمبيعات، كشف عنها الخبير السوري بمؤسسة "سيجا"، والباحث المستقل، أيمن التميمي.

وتقول ليلى تالو، التي استمرت عامين ونصف العام في الأسر وامتلكها نحو 8 رجال "اعتبروا أن كل شيء يجوز. اغتصبوا النساء والفتيات". وبعد اختطاف تالو، اختُطف زوجها وابنها الصغير وابنتها الرضيعة في عام 2014. كانوا يقتلون الرجال ويستعبدون النساء. وعلى الرغم من القواعد التي تفرض بيع الرقيق من خلال محاكم داعش، نُقلت تالو إلى أسواق الرقيق غير الرسمية. وبالنهاية، بيعت بـ6000 دولار.

لكن تالو تمكنت من الهرب أخيراً مع أطفالها وشقيقة زوجها من خلال دفع أموال لمهرب.

رجال الإنقاذ

تم تحرير حوالي 3500 من العبيد من براثن داعش في السنوات الأخيرة، معظمهم تم استعادتهم من قبل عائلاتهم. لكن أكثر من 2900 من الإيزيديين لا يزالون في عداد المفقودين، بما في ذلك حوالي 1300 من النساء والأطفال، وفقا لمكتب المختطفين الإيزيديين في منطقة الحكم المستقل الكردية في العراق. وقال بهزاد فرحان وعلي خناصوري، وهما إيزيديان يعملان كمنقذيْن يلاحقان المستعبدين، أنهما يعتقدان أن معظم الأسرى قُتلوا، لكن قالا إن المئات من النساء والأطفال يحتجزون على الأرجح من قبل المسلحين. وعلى مدى سنوات، تتبع الاثنان أسواق العبيد على وسائل التواصل الاجتماعي، واتصلا بالمهربين وبحثا عن مقاتلي داعش الراغبين في إعادة المختطفين إلى أسرهم مقابل فدية. ومن خلال عملهما بشكل منفصل، تمكّنا من تحرير العشرات من النساء والأطفال.

> لا تريد بعض النساء اللواتي لديهن أطفال ولدوا لآباء من داعش العودة إلى ديارهن لأن مجتمعهن الإيزيدي لا يعترف بأطفالهن الرضّع

ويروي خناصوري، جالسًا تحت ظل شجرة في لاليش، وهو أقدس أضرحة الإيزيديين في محافظة دهوك العراقية، كيف تمكن من الفرار بعد أن كان من بين حوالي 250 شخصًا اختطفهم داعش في مسقط رأسه قبل خمس سنوات. وبمساعدة عضو تونسي من تنظيم داعش قابله في الأسر، طوّر شبكة من المطلعين والحلفاء في سعيه لإنقاذ أكبر عدد ممكن من زملائه الإيزيديين. ومع انهيار داعش، نشطت محاولات الإنقاذ حيث كان الخاطفون يتدافعون للحصول على المال وبحثوا عن مشترين، على حد تعبير خناصوري.

والآن، مع تشتيت شمل المسلحين بالتجائهم للاختباء في الصحاري والكهوف أو في الخلايا النائمة – أصبح العثور على البائعين أكثر صعوبة. يُظهر خناصوري وهو يستخدم هاتفه خرائط لأماكن محتملة لمنازل داعش الآمنة في الصحاري الغربية بالعراق، ويؤكد على أنهم ما زالوا يحتجزون باقي النساء الباقيات على قيد الحياة. وهناك بعض النساء الأخريات اخترن أن يختبئن، إما بإرادتهن أو مجبرات، بين عائلات داعش الموجودة في مخيم الهول في سوريا، والتي يديرها مقاتلون أكراد سوريون.

جراح لا تندمل

هل يغنم داعش من حرب العالم على كورونا

واشنطن – حذر خبراء من استفادة تنظيم داعش من انشغال العالم بالمعركة ضد وباء كورونا المستجد، ليحاول استرجاع نفوذه المتآكل في الشرق الأوسط بعد تلقيه خسائر ميدانية فادحة.

وربما تلاشى تنظيم داعش من عناوين الصحف الدولية بسبب الانشغال بتحديات الأزمة الصحية الطارئة، لكن تزايد الهجمات عبر مساحات واسعة من العراق خلال الشهر الماضي يظهر أن التنظيم لا يزال يمثل تهديدا قويا قادرا على العودة في صورة انتقامية.

وفقد تنظيم داعش سيطرته على آخر جزء من أراضيه في مارس 2019، لكنه يتطلع إلى إعادة إحياء نفسه منذ ذلك الحين. ولا تزال لدى التنظيم فروع تمتد من غرب أفريقيا إلى الفلبين، على الرغم من أن العراق وسوريا لا تزالان من أهم مناطقه.

وبينما لا تزال الدولتان هشتين تواجهان أزمات وانقسامات داخلية شديدة، سعى التنظيم إلى استغلالها باستخدام عشرات الآلاف من المقاتلين ومئات الملايين من الدولارات التي لا تزال تحت تصرفه.

وبالتعلم من الدروس المستفادة بعد هزائمه الأخيرة، جمع تنظيم داعش الأموال والقوى العاملة والموارد لاستعادة نفوذه مرة أخرى، في حين انسحبت القوى الأجنبية المعارضة أو تشتتت بسبب قضايا أخرى.

وكان لدى التنظيم الوقت الكافي للتعافي بعد فقدان آخر منطقة أساسية له في مارس 2019 ووفاة زعيمه أبوبكر البغدادي في أكتوبر 2019.

وقدرت الأمم المتحدة أن التنظيم لا يزال يقود ما يصل إلى 20 ألف مقاتل، ويمكن أن يصل إلى مئات الملايين من الدولارات ويكسب ما يصل إلى 4 ملايين دولار شهريا، والتي، وفقا لتقديرات مركز السياسة العالمية وواشنطن بوست، تستخدم لاستعادة هيكله وبنيته.

ودفعت جائحة كورونا قوى التحالف الدولي ومن بينها الدول الأوروبية إلى سحب قواتها مؤقتا من القتال ضد تنظيم داعش. وفي الفترة ما بين 19 و25 مارس، أعلنت جمهورية التشيك وفرنسا وهولندا وإسبانيا جميعا أنها ستنسحب مؤقتا من العراق، في حين أشارت ألمانيا وبريطانيا إلى أنهما ستقلصان من وجودهما.

وفي حين أن هذه الدول أنفقت أقل بكثير من القوى العاملة والموارد من الولايات المتحدة في العراق، فإنها لا تزال تلعب دورا رئيسيا في التحالف الذي تقوده واشنطن ضد داعش. ويقول الخبراء إن تعليق أنشطة التحالف الدولي ضد داعش بسبب كورونا سيسمح باستعادة زخمه من جديد.

وستشكل عودة التنظيم تحديا أمنيا بالنسبة للحكومة العراقية الجديدة التي تشكلت حديثا والتي يقودها رجل المخابرات مصطفى الكاظمي.

وقالت الحكومة العراقية الجديدة إنها ستعطي الأولوية لجهود مكافحة الإرهاب والحرب ضد داعش، لكن سيتم تقويض قدرتها على القيام بذلك بسبب انخفاض الدعم الدولي والصراع السياسي الداخلي.

> في سوق مدينة تدمر وقع عرض سيدات إيزيديات كـ«سبايا» فيما قام آخرون بتوزيع النساء عن طريق نظام «اليانصيب»

ومع تشتيت أعدائه الإقليميين والغربيين على حد السواء، زاد تنظيم داعش مؤخرا من حجم ونطاق هجماته وعمليات الاختطاف والعمليات الأخرى في شمال وغرب العراق. وتهدف هذه العمليات إلى تخويف السكان المحليين وإضعاف قوات الأمن وإثارة حالة من عدم الاستقرار التي ستكون بمثابة دعاية له.

ووفقا للبيانات التي جمعتها مؤسسة "موقع النزاع المسلح ومشروع جمع البيانات"، ومركز "السياسة الدولية"، فقد ارتفع عدد الحوادث الأمنية في العراق المرتبطة بتنظيم داعش بنسبة 58 في المئة بين مارس وأبريل فقط. وعند مقارنة عدد هجمات أبريل من العام الماضي بأبريل من هذا العام، نجد أن عدد الهجمات قفز بأكثر من 300 في المئة.

كما بدأ تنظيم داعش في اختبار الأوضاع لشن هجمات جديدة. ووفقا لمعهد الشرق الأوسط، فقد قامت المجموعة مؤخرا بشن غارات ليلية وهجمات منسقة وتفجيرات انتحارية. ويمثل هذا ارتفاعا ملحوظا في عمليات إطلاق النار بالسيارة وهجمات بقذائف الهاون والمتفجرات التي يتم زرعها على جانب الطريق التي قامت بها في الأشهر السابقة.

وشن التنظيم في أواخر أبريل الماضي هجوما على مقر المخابرات في كركوك. وكان مثل هذا الهجوم المباشر على مبنى حكومي حدثا نادرا منذ أن فقدت الجماعة أراضيها المتبقية في العراق في عام 2017.

واستطاع تنظيم داعش زيادة عملياته لعدة أسباب: حيث أعطى تراجع الضغط الخارجي على التنظيم، المزيد من الوقت لبناء أجهزة أكبر والتخطيط لعمليات أكثر تعقيدا. كما عززت تدفقات الأسلحة من سوريا، حيث يكتسب التنظيم زخما، من قوته ولا توجد أي علامات على تباطؤ وتيرة هذه العمليات.

وفي غياب ضغوط التحالف الدولي ولو مؤقتا بسبب الأزمة الصحية، من المرجح أن يستمر تنظيم داعش في هجماته الإرهابية وسيصر على تحقيق أهدافه.

ومع ذلك، لا يزال تنظيم داعش يقف على بعد سنوات من قدرته على استعادة الأراضي وإعادة إنشاء ما يسمى بالخلافة، والتي لا تزال الهدف النهائي للجماعة، لكن من خلال تقويض الاقتصاد العراقي الهش بالفعل والوضع الأمني، فإن مثل هذه الهجمات تخاطر بتراجع جهود إعادة الإعمار في المناطق التي استعادتها السلطات العراقية من التنظيم الدولة بين عامي 2016 و2017.

وسيلعب النشاط المتزايد لداعش في العراق دورا في إعادة تنشيط المقاتلين على مستوى القاعدة في أماكن أخرى من العالم، الذين ليست لهم صلة مباشرة بالتنظيم ولكنهم مازالوا يستوحون منه أيديولوجيتهم لتنفيذ الهجمات. وفي حين لا يعلم الكثيرون متى وأين سيقع الهجوم، فمن المرجح أن تظهر الهجمات في المواقع التي وقعت فيها هجمات شنها متشددو تنظيم القاعدة خلال ذروة قوة الجماعة في 2014 و2015، بما في ذلك دول أوروبا الغربية مثل بلجيكا وفرنسا وألمانيا وبريطانيا. كما تواجه دول الشرق الأوسط خطر الاستهداف الكبير.